صلة الصوت بنشأة اللغات والمعنى

The link of sound to language and meaning

اللغة ظاهرة انسانية عامة يستطيع المرء بها أن ينقل الى الآخرين المعاني التي تدور في ذهنه وهي منطوقة مرتبة ترتيباً ما يفهم السامع المراد فاذا تغير الترتيب اختل المعنى فلو طرق سمعنا هذه الاصوات (ك ت ب)، (ز ي د)، (د ر س هـ) ، لفهمنا ما دار في ذهن المتكلم ولكنها لو خرجت هكذا (هـ س ي ك د ر ت ب ز د) ما فهمنا شيئا ، والاصوات هي نفسها لم تتغير والذي تغير هو ترتيبها في النطق ، فما الذي جعل الاصوات مفهومة في الترتيب الاول ولم نفهم شيئا حين اختل نظمها؟؟ ولماذا يكون لهذه الاصوات معنى وهي تقع في سمع عربي ولا يكون لها معنى في سمع رجل من الهند مثلا؟؟ ولِمَ يكون للأصوات التي ينطقها الصيني معنى عندما يسمعها صيني آخر ولا يكون لها معنى عند العربي؟ وكيف نشأت اللغات الانسانية؟

رأى بعض العلماء أنه لا طائل من دراسة نشأة اللغات لأنها من الامور الغيبية القائمة على الحدس والتخمين . ورأي يرى أن يقدم تفسيراً نظرياً لنشاة اللغات كي لا يدع الدارسين في حيرة من أمرهم لذلك ظهرت عدة نظريات تفسر نشأة اللغات قديماً وحديثاً منها: نظرية الابداع، ونظرية التواضع والاصطلاح، والنظرية الصوتية التي نحن بصددها،

ومن هؤلاء ابن جني الذي رأى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات كدويِّ الريح وخرير الماء وصهيل الفرس ونحو ذلك وهذا يعني أن الإنسان بدأ بمحاكاة الأصوات الطبيعية وأخذ يعبر عن تلك الظواهر بحكاية أصواتها وكانت تلك بداية انتباهه إلى استعمال جهازه الصوتي ثم بدأ يطور هذا الاستعمال ليعبر عن حاجات حياته المختلفة

وهناك أربعة آراء تبين العلاقة بين الصوت ونشأة اللغة وهي
١- رأي قائل بمحاكاة الأصوات الطبيعية، وواقع اللغات يبين أن كثيراً من الألفاظ انحدرت من تلك الأصوات

٢- رأي يبين أن بداية استعمال الإنسان لجهازه الصوتي كان عن طريق التأوهات والشهقات التي تصدر عنه بصورة غريزية
٣- رأي يبين الصلة بين المؤثرات الخارجية التي يراها الانسان وبين إصدار أصوات تعبر عن تلك المؤثرات وهي صدى لها
٤- رأي يقول إن الاصوات صدرت عن الإنسان وهو يقوم بعمل جماعي شاق تعاونت معه مجموعة من الناس على أدائه . والذي يمكن قوله إن دراسة اللغة في الأمم البدائية دراسة تأريخية تشبه دراسة مراحل نمو اللغة عند الاطفال، فاللغات الإنسانية كانت أول أمرها كثيرة الأصوات قليلة المعاني.
أما علاقة الصوت بالمعنى فإن اختلاف الحرف الواحد أو الحرفين أو الثلاثة في كلمة أو كلمتين يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد وإن دقة المعنى تتفق مع الحرف المختار لذلك نرى العرب أسمَوا البط لصوته والغاق للغراب لصوته.

والحروف الأصول تشترك أصواتها في التعبير عن معنى بعينه، وحين تتقلب تكون معانيها متقاربة مثل تقلبات (جبر) تعطي معنى: القوة والشدة، وتقلبات (حجر) تعطي معنى: الشدة والضيق، وإن كان هذا الأمر لا ينطبق على ألفاظ اللغة كلها.

ومن باب آخر فإن تغير الصوت يؤدي إلى تغير المعنى، من ذلك قولهم: نضح ونضخ، فالنضْح يأتي بمعنى الرَّش الخفيف أو سيلان الماء بصورة قليلة أما النضْخ فهو أقوى من الرش أو سيلان الماء بقوة أكبر من النضح، ومثله: سعد وصعد، فصَعَدَ بمعنى ارتقى و سَعَدَ بمعنى أصابته السعادة، وخضم وقضم، فالخضم للأكل غير الصلب والقضم للأكل الصلب، كما إن زيادة الأصوات تؤدي إلى زيادة في

المعنى مثل حطّم وكسّر مضعف العين، أقوى معنًى من كسَرَ وحَطَم، واعشوشب واحدودب من عَشَب وحَدَبَ، وكذلك فعل وافتعل ف(افتعل) أقوى في المعنى من(فعل) مثل: قدر واقتدر